القديس سمعان العمودي

المعترف

مايكه حبيب يوسف

يوسف حبيب

مقدمة

على قدر ما تبدو سيره القديس سمعان العمودى عجيبة ، على قدر ما يبدو أن الله أراد أن تكون هذه السيرة مؤكدة بكل الأوصاف التى تثبت صحتها ، فقد كان هذا القديس فى حياته وفى سلوكه موضع أعجاب ليس لكل سكان الامبراطورية الرومانية فحسب ، بل للبرابرة وغير المؤمنين أيضاً ، فكان موضع أحترام جزيل عند الفرس والميديين والأثيوبيين . وكان الأباطرة الرومان يسعون فى طلب صلواته ، ويستشيرونه فى الأمور الهامة .

وقد كتب سيرته تلميذه الذى ظل معه حتى نهاية حياته . ومن أكثر أساقفة الشرق علماً Théodoret « تيودوريه » ، كتب أيضاً كل ما رآه بنفسه إذ كان معاصراً للقديس ، وأستشهد على صحة روايته بأشخاص كثيرين من جميع الفئات . قال :

« إن الموجودين تحت حكم الامبراطورية الرومانية يعرفون سمعان الشهير الذى يمكن تسميته بحق أعجوبة العالم . ولكننى بالرغم من كثرة الشهود أخشى الكتابة عن جهاد هذا القديس لئلا يبدو مستغرباً فى نظر الآتيين بعدنا لدرجة أنهم لا يصدقون ،

لأن الإنسان من عادته أن يقيس كل شىء حسب مجريات الأمور الطبيعية ، ويحسب كل ما يتعدّى حدود الطبيعة خطأ . أما الذين يعرفون عظمة نعمة الله العجيبة فهم لا يرتضون تصديق ما أكتب » .

وشهرة القديس العالمية تؤكد أيضاً صحة سيرته العجيبة . فإن شهادة كل هذه الشعوب لا يمكن الا أن تكون على أساس صحيح ؛ خصوصاً وإن الأمر ليس موضوع عمل منفرد أو أعجوبة واحدة ، إنما كانت حياته كلها أعجوبة مستمرة أمام كل الناظرين . وان ذكرى أعماله النافعة لأجل بنائنا الروحى ، لأننا لا نستطيع أن نتأملها دون أن نحزى من فتورنا فى خدمة الله .

† † †

مصادر الكتاب

Vie des Saints RR. P. P. Bénédictins
Vie des Péres des Déserts Marin Michel Ange
Moines et Monastéres du proche - Orient
Jules Leroy

نشأة القديس

ولد القديس سمعان العمودى فى « سيسان » Sisan فى شمال سوريا حوالى سنة ٣٩٠ م من أبوين مسيحيين . وتعمد وهو لا يزال فى المهد . وكان له أخوة كثيرون ماتوا كلهم صغاراً فيما عدا واحد يكبره ويدعى « سمسن » Semsen .

وكان أبوه راعياً فقيراً فأرسله منذ صباه ليرعى الأغنام . فعاش فى الغابات والجبال ، يشبه فى ذلك رؤساء الآباء يعقوب وموسى وآخرين فى العهد القديم . وكان وهو لا يزال طفلاً يحرم نفسه من طعامه لكى يقدمه للجوعان . ولما بلغ عمره ثلاثة عشر سنة تأثر كثيراً عندما سمع قراءة التطويبات فى الكنيسة . وكان يسأل عن تفسير أقوال الكتب المقدسة ويطلب الطريق الذى يوصله إلى السعادة الموعود بها .

واجتهد كثيراً فى الصوم والصلاة ، فكان يذهب إلى الكنيسة مبكراً ليبقى بها طويلاً حتى أنه كان أحياناً يقضى الليالى بأكملها راكعاً ساجداً يصلى .

ومات والداه ثم عمته أيضاً وتركت له كل ثروتها . فأعطى الأراضى لأخيه ووزع بقية الميراث على الفقراء وعلى الأديرة ، فيما عدا بعض القطعان فقد أحتفظ بها ليقدمها للدير الذى عزم على أن يترهب فيه .

دخوله الدير

كان بالقرب من مدينة « تليدا » Teleda على مسافة حوالى أربعين كيلو متر شمال غربى مدينة حلب بسوريا دير يرأسه « هليودور » Heliodore . وكان أبن عم سمعان راهباً فى ذلك الدير ، ولم يخرج منه منذ خمس وثلاثين سنة وقت أن دخله . وقرر سمعان أن يحذو حذو أبن عمه . فبعد أن رتب أمور بيته ، أخذ معه هدايا كثيرة لخدمة الدير والمحتاجين ، وترك كل شىء ومضى إلى الدير . فاستقبله « هليودور » رئيس الدير بحفاوة ، وبعد ثلاثة أيام قدمه إلى الاسقف لكى يرسمه راهباً . فناقشه الاسقف أولا ليتحن رغبته ثم قبل رسامته . وأثناء الاحتفال رأى الاسقف ملاكاً واقفاً بجانب القديس سمعان قال لرئيس الدير : « انى لا أشك فى أن هذا الشاب إناء مختار وسوف يضع فيه الرب عطاياه الغنية ، وسوف يكون أسمه شهيراً فى كل الأرض » .

ومكث سمعان عشر سنوات تحت قيادة هليودور رئيس الدير يجهد نفسه كثيراً فى نسك وتقشف فاق كل تدريبات رهبان الدير . فبينما كانوا يصومون يومين يومين ، استطاع سمعان الامتناع عن الطعام لمدة أسبوع كامل . ولم يمكن رؤساؤه وزملاؤه يوافقون على تصرفاته الفريدة ، وحاولوا دون جدوى أن يثنوه عن عزمه .

استرداد القديس بصره بعد فقده :

وكان الشيطان يحاربه محاولا إرغامه على ترك هذه التدريبات العجيبة . فبينما كان القديس يصلى ذات يوم ، ظهر له الشيطان فى سحابة سوداء مفزعة وضربه على عينيه فأفقده بصره . وحزن رئيس الدير حزناً شديداً وأراد أن يحضر طبيباً لمعالجته ، ولكن القديس طلب من رئيس الدير أن يسمح له بالذهاب إلى أحد القبور ليقضى بضعة أيام فى الصلاة طلباً للشفاء . فقضى هناك أربعين يوماً ، وبعد ذلك أضاء المكان نور سماوى أعاد للقديس بصره . فرجع إلى الدير وأستأنف تدريباته وعمله وصلواته .

وذات يوم صنع سمعان حزاماً من أغصان النخيل وربط به وسطه بشدة على جسمه مباشرة . فالتهب جسده من هذا الحزام الخشن حتى سالت الدماء ، ولم يُعرف الأمر الا بعد عشرة أيام . لكن رئيس الدير نبهه حينئذ إلى ترك الحزام وشفاه الرب .

حسد الرهبان للقديس وإبعاده من الدير :

فأوعز عدو الخير إلى الرهبان أن يتذمروا ضد القديس ويطلبوا طرده من الدير . وكان رئيس الدير يعلم بتقوى القديس وفضيلته ، ويعرف من جهة أخرى أن شكوى الرهبان ليست خالصة من شبهات الغيرة أو الحسد ، ولكنه طلب منه أن يترك

الدير طالما أنه لا يريد أتباع قانون الدير العام . وأوضح فى الوقت نفسه أمام الحاضرين أنه لا يبعد سمعان لأجل عصيان ، وأنه لا ينوى أن يثنيه عن عزمه على حياة النسك .

توحد القديس

وخرج سمعان من الدير وذهب إلى غابة قريبة . وكان يصوم طوال الأسبوع ولا يأخذ سوى طعاماً يسيراً فى يومى السبت والأحد . وكان يقضى بعض الليالى بأكملها واقفاً يصلى .

وشعر بنداء خفى إلى حياة نسكية أكثر صرامة ، فاعتزل فى مغارة قريبة من الدير . وكان الشيطان يحاربه بمناظر مخيفة فكان القديس يرشم علامة الصليب ويستمر فى صلواته . وأضاء المغارة نور سماوى وسمع صوتاً يقول له : « ياسمعان إن الجحيم قد أعلن الحرب عليك فلا تجزع ولا تخف شيئاً فان يتركك الله وسوف تنتصر على الشيطان وسوف يعرف اخوتك قدرك » .

وأرسل هليودور رئيس الدير رهباناً ليبحثوا عن القديس سمعان . وبعد جهد كبير عثروا عليه فى المغارة فاصطحبوه إلى الدير . لكنه لم يبق هناك طويلا إذ أشتد تذمر الاخوة بسبب حسدهم وذهبوا إلى رئيس الدير وقالوا له إنهم سوف يتركون

الدير إن بقى سمعان فيه . فحزن هليودور رئيس الدير كثيراً لأنه كان يحب سمعان ، ورأى الرهبان وكان عددهم حوالى مئة وعشرين راهباً جادون فى تهديدهم . فطلب منهم الا يتعجلوا الأمور وينتظروا قليلا ثم يختاروا ما يفعلون . وذات يوم نادى سمعان وقال له :

« يا ابنى أنت تعرف مقدار حبى لك وانه يعز على أن أحرم من وجودك معنا . ولكنك رأيت بنفسك إن الاخوة يتشبثون بقوانين الدير ، ولا يتحملون أية زيادة عليها ؛ كما أنى لا أرضى أيضاً أن يتوانى أحدهم فى حفظها . لذلك أظن أنك تفعل حسناً لو تركت الدير إلى المكان الذى سوف يعرفك به الله لتخدمه على طريقتك فى هدوء » .

كان رئيس الدير رجلا باراً ، وكان قد دخل الدير وهو فى الخامسة من عمره وعاش فيه حتى بلغ عمره تسعة وسبعين عاماً .

واقتنع سمعان بأنه خير له أن يترك الدير . فلما هم بمغادرته نهائياً أراد رئيس الدير أن يعطيه بعض المال ، ولكن القديس أعتذر عن قبوله وأخذ بركة هليودور واتكل على العناية الإلهية .

ولما خرج من الدير إفتاده الروح القدس حتى أصبح قريباً من مدينة تلنفسين التى كان بها أحد الأديرة . فوقف القديس فى

ظل شجرة وصلى إلى الله قائلا :

« ربى وإلهى القدوس ، إن كانت إرادتك أن أصوم صوم الاربعين المقبل داخل الدير ، فأجعل من يفتح لى الباب يقبلنى داخل الدير دون أن يسألنى عن أسمى أو أى سؤال » .

ثم توجه نحو الدير فوجد عند الباب شيخاً ومعه شاب . وفتح الشاب الباب ودعا سمعان للدخول دون أن يسأله شيئاً . فقال إنه لا يستطيع الدخول بدون أذن رئيس الدير ، ولكن الشاب دعاه ثانية ونادى الشيخ مخاطبه مرحباً كأن بينه وبين سمعان تعارفاً منذ زمن . وقضى الليل فى غرفة الضيافة ، وفى الصباح طلب من الشيخ أن يفرد له غرفة خاصة يستطيع أن يقضى فيها وحده فترة صوم الاربعين المقدسة .

ولما بدأ الصوم الكبير ، طلب سمعان من رئيس الدير وأسمه باسوس ، ان يدعه مدة الاربعين يوماً فى قلاية لا يزوره أحد ولا يتناول الا مما يسد الرمق . وترك له رئيس الدير عشر خبزات ووعاء ماء .

وبعد ذلك كان القديس لمدة ثمانى وعشرين سنة يصوم الصوم الكبير بهذه الطريقة فى تقشف قاس ، يقضى وقته فى التسبيح لله .

كان القديس يضع نصب عينيه دائماً موسى وايليا ، وكأنه

يقول لنفسه : « إدرس جيداً فضائل هاتين الشخصيتين العظيمتين اللتين إستحقتا النعم الجزيلة من لدن الله ، وأعتبر أيمانهما ومحبتهما وطهارتهما وغيرتهما لمجد الله وأصوامهما وتأملاتهما » .

وكان دائماً يسأل ويطلب المشورى ، يناضل ضد الرذيلة بسلطان ، ويدعو إلى الفضيلة بصوت جهوري ويأتي بمعجزات عديدة . فكانت حياته صارمة وليس أحد يستطيع أن يأتي أعمال النسك والتقشف التي كان يعملها الا بقوة الله .

الإرادة أقوى من سلاسل الحديد :

وصعد إلى الجبل المجاور وبنى لنفسه سوراً مستديراً من الطوب الجاف وحبس نفسه بداخله . لكن روحه كانت منطلقة حرّة في أجواء سماوية يراها بعين الإيمان .

كان وهو داخل السور في الهواء الطلق معرض لكل تقلبات الجو يداوم على الصلاة والصوم ويقضي وقته في التأمل في الأمور السماوية .

وحضر « مليس » ، وهو شخصية من شخصيات عصره الممتازين بالحكمة ، لزيارته ، وكان نقاش مع القديس في الروحيات كيف يكون للإرادة التي يقودها العقل القوة الكافية لكبح جماح الجسد وتقييده .

جامعة روحية عملية

وذاع صيته في كل مكان . ويقول « تيودوريه » ، إن جموعاً غفيرة كانت تحضر إليه من كل مكان ، لدرجة أن الأرض المسوّرة التي كان يعيش فيها القديس كانت تشبه البحر الواخر الذي تصب فيه الأنهار المختلفة من كل ناحية .

وكان القديس وديعاً بشوشاً متواضعاً يرحب بزواره ويرد على كل سؤال ، وكانوا يحضرون إليه المفلوجين والمرضى بأنواع مختلفة طلباً للشفاء ، ومنهم من كانوا يحضرون أملا في أن يرزقهم الله أولاداً بصلواته أو طلباً لمشورته ، كما أن آخرين كانوا يحضرون طلباً لبركته ، أو تبتماً وبرؤيته . وكان الذين يحتكمون إليه يتعجبون من عدل أحكامه . وأحترمته الشخصيات الكبيرة أيضاً وأجروا مباحثات معه في المسائل العامة . واستجاب الله للصلوات وحصلت حالات الشفاء والتوبة والرجوع إلى الله .

ووافاه هناك فرس وأرمن وأحباش وأسبانيون وفرنسيون وأنجليز وإيطاليون . وفي روما حيث كانت شهرته عظيمة جداً كان الصناع يعلقون صورته في حوانيتهم تبركاً بصلواته .

† † †

رؤى القديس

(١) القديس يضع أساسات البناء :

رأى فى نومه رؤيا رواها بنفسه فيما بعد، قال : « أراني أحفر أساسات بيت، وعندما كنت أتوقف عن الحفر من حين لآخر، كنت أسمع صوتاً يأمرنى أن أحفر لمسافة أعمق. وحدث ذلك ثلاث أو أربع مرات. وأخيراً قال لى الصوت : يكفى هذا العمق، شيّد البناء الآن على الارتفاع الذى تريد » .

(٢) القديس يكلف بالرعاية وتقديم الغذاء الروحى :

وذات مرة بينما كان نائماً، شعر بمن يربت عليه ويدعوه باسمه، فاستيقظ لوقته، ولما فتح عينيه رأى شخصاً ذا جمال سماوى متسربلا بحلّة باهرة نورانية، ممسكاً بيده بصولجان من ذهب. فتعجب وخاف وسقط على الأرض. فطمأنه الملاك قائلا : لا تخف بل أتبعنى وأصغ لقولى :

رسالة الملاك للقديس

قال له الملاك : « إن الرب يريد أن يستخدمك لمجد اسمه، ولتدعيم كنيسته ولترد الكثيرين عن الضلال والخطية. فإذا كنت تقوم بجدارة بما يعهد إليك، إن الأمراء والمستشارين والوفود

المختلفة يأتون من كل صوب لكى يستمعوا إلى تعاليمك الخلاصية. واعلم أيضاً أنه يلزم أن تتألم كثيراً، وأن تعتد قلبك فى صبر زائد ومحبة كاملة لكل الناس مهما كانت صفاتهم. وفوق كل شىء عليك أن تطرد بعيداً كل فكر الكبرياء والمجد الباطل، وتضع نفسك فى منزلة أقل من منزلة أى إنسان فى العالم » .

أنطلق به الملاك فوق الجبل وأمره أن يقيم مذبحاً بأربعة حجارة كبيرة أراها له . وبعد أن أنزله أفتاده نحو كنيسة . وبينما كان يقترب رأى جمعاً لا يحصى من كل الأجناس يرتدون ملابس سماوية وسيماء التواضع والتقوى على وجوههم. فسأل الملاك عنهم فأجابه قائلا أنهم الذين سيرجعون إلى الله بواسطة قدوته وعظاته .

ثم أمره الملاك أن يدخل الكنيسة، فتقدم أمام الهيكل ليصلى، وبينما كان يصلى رأى شخصاً وقوراً خارجاً من الهيكل وهو يتلألأ وله ضوء أكثر لمعاناً من الشمس . وبعد أن قرب منه حيّاه ثلاث مرات ثم قال له : « انك مختار لتغذية قطيع الرب تغذية روحية. فلا تضعف أبداً وتشجّع » .

(٣) قيام القديس بالخدمة بأمانة :

رأى القديس سلماً عالياً جداً، وفوق السلم ثلاثة أشخاص، واحد فى أوله والثانى فى وسطه والثالث أعلاه. وسمع فى نفس

الوقت صوتاً يقول للذى فى الوسط أن يحاول أن يدرك أخاه أعلى السلم؛ وأضاف نفس الصوت : هنا موسى الذى أعطاه الله الناموس فوق جبل سيناء ، وجعل كل العالم يعرفه . وستكون معروفاً أيضاً وكما حفظه الله فى كل طرقه يحفظك أيضاً إذا أتممت الخدمة التى أسندها إليك بأمانة .

(٤) حماس القديس :

وفى رؤيا أخرى ظهر له إيليا النبى على مركبة نارية ، كما يمثله الكتاب المقدس عندما أخفاه الله عن نظر اليشع ، وقال له إنه سوف يشمله حماس مقدس لأن الله يحفظه ليبشر ويكون سنداً للضعفاء ومواسياً للفقراء والحزانى ؛ وأمره الا يرهب عظماء العالم ، لأن الله حافظه فلن يستطيع أحد أن يؤذيه .

(٥) كيف أختار القديس مكان خلوته :

حبس القديس نفسه كعادته ليقضى الاربعين المقدسة فى الصوم والصلاة . وبعد الاسبوع الثالث من الصوم المقدس بينما كان يصلى أختطف بالروح فرأى أمامه رجلا يبدو وجهه كأنه يتأهب للذهاب إلى المعركة . ظهر له هذا الرجل واقفاً أمام النافذة أولا ، ثم وقف فوق حجر وابتدأ ينحنى جداً وكان يصلى . وبعد ذلك أستدار نحو سمعان ونظر إليه بثبات ، ثم التفت ثانية رافعاً يديه وعينيه نحو

السماء واستأنف صلاته . وفى النهاية التفت إلى سمعان وكان يمعن النظر كأنه يوعز إليه أن يفعل مثله . وتكررت الرؤيا ثلاث ليال متتالية .

القديس يلجأ إلى الأعمدة

لم يشك سمعان فى أن ذلك الشخص إنما هو ملاك أرسله الله ليعلمه الكيفية التى يلزمه أن يعمل بمقتضاها حتى نهاية حياته . وبعد انقضاء صوم الاربعين المقدسة ، ترك المكان المسوّر الذى كان يعيش فيه وحفر ليعيش على هذا الحجر وهو ثلاثة أذرع طولا ، وبقى هناك ثلاثة أشهر . ولكى يتفق سلوكه مع رؤيا السلم التى ذكرناها ، فقد صعد على التوالى على أعمدة مختلفة .

كان العمود الأول ارتفاعه إثنى عشر ذراعاً ، والثانى سبعة عشر والثالث اثنين وعشرين ذراعاً . وبقى على هذه الأعمدة المختلفة سبع سنوات . أما العمود الأخير الذى أسلم الروح فوقه فكان ارتفاعه أربعين ذراعاً . وكل المدة التى عاشها فوق الأعمدة سبعة وثلاثين سنة . ولا تزال قاعدة العمود قائمة حتى الآن فى جبل سمعان ، وهو جبل الشيخ بركات فى شمال سوريا .

كان الجزء العلوى من العمود الذى عاش عليه القديس على شكل مربع ضلعه ستة أقدام ، أى أن مساحته كانت حوالى أربعة أمتار

مربعة . وكان حول هذه المساحة سور حديدى . وكان القديس يصعد فوق العمود بواسطة سلم متحرك ينقله أحد أتباعه .

فوق العمود

كان قرار القديس سمعان أن يعيش وحيداً فوق عمود نتيجة لتلك الرؤى والاعلانات السماوية . ولم يحدث من قبل أن عاش انسان كذلك ، فلم يرق سلوكه للبعض . ويقال أن رهبان مصر لم يوافقوه وأرادوا أن يمتحنوا فضيلته بمعرفة طاعتـــه ، وروى ذلك المؤرخ « أغريس » قال :

انتدب سكان البرية واحداً منهم ليسأله عن سبب اتخاذه هذا الأسلوب العجيب فى الحياة ، ولماذا ترك طريق الآباء الأولين القدماء. وشق لنفسه طريقا جديداً لم يسلكه أحد ، وليخبره أن رهبان البرية يأمرونه بأن ينزل عن العمود ويسلك طريق النساك العاديين ؛ وأوصوا مندوبهم أن يترك القديس فوق العمود إذا رأى منه إستجابة فيكون قد أثبت بطاعته أنه صعد فوق العمود وفقا لمشيئة الله . أما إذا رفض الاذعان للأمر وفضل اتباع إرادته الخاصة ، فعلى مندوب رهبان مصر أن يجبره على النزول .

رأى رهبان مصر فى مكان خلوته

وحالما أطل مندوب الرهبان للقديس سمعان العمودى أنه

مرسل لكى يبلغه الأمر الصادر إليه من رهبان البرية ، اقتنع حالا وأطاع وهمّ بالنزول . فأوقفه المندوب وأفهمه أن له أن يبقى فوق العمود وقال له : « تشجع يا أبى وتسلح بالقوة فإن ما اتخذته هو من عند الله » .

يقول المؤرخ كوزما : « إذا كانت الأصوام الطويلة التى صامها الأنبياء مثل موسى وإيليا ودانيال وصديقو العهد القديم قد ارتضاها الله حتى انه تعالى أكرمهم بعمل العجائب العظيمة ، وإذا كان الله قد اختارهم لكى ينقلوا أوامره إلى الناس ، فاذا نرى فى سمعان الذى كان الله وحده بأعماله عليماً ؟ وكيف نراه خليقاً بالثواب الذى أستحقه لاتعابه الكثيرة من أجل محبة الله محتملا الجوع والعطش والبرد والحر بصفة مستمرة وهو يسمو بصلواته المستمرة وتأمله العجيب وتلك العيشة الغير مريحة التى يتحملها بروح لا تُقهر ، فقد كان قائماً فى نسك وتقشف يفوق الوصف لا يتذوق طعم النوم إلا اليسير منه ولا يعطى لجسده راحة ليلا أو نهاراً » .

كانت تؤيده قوة الله تعالى الذى أراد أن يجعله متزايداً فى النعمة أمام أعين الناس . عاش طول زمانه عابداً مصلياً متأملا ، يقوم بعمل معاينات ، ويعظ ويعلم الذين يقصدونه ، وكان منشغلا بالله بكل قوته وكل كيانه ، يقمع جسده ويستعبده . وفى الأعياد الكبيرة كان يسهر الليل كله مصلياً رافعاً عينيه نحو السماء .

كان يقضى معظم الليل فى الصلاة ويستأنف الصلاة فى النهار . ثم كان يناقش الذين يحضرون لزيارته ويعظهم ويعلمهم ، ويستمع إلى مطالبهم ويشفى مرضاهم ويحل مشاكلهم حتى الغروب . ثم يبارك الشعب ويودع الناس ليخاطب الخالق وحده . وهو فى ذلك له أقوال مأثورة حكمة .

من تعاليمه : كان يحث الناس على رفع عقولهم إلى السماء ، والتجرد من العالم ، وإن يتمثلوا السماليات أمام عيونهم على الدوام ويحتقروا الأشياء الحاضرة ويرجوا المستقبلة .

ملابس القديس : كان القديس يلبس ثوباً من الجلد يغطية حتى ركبتيه ، ويغطى رأسه بجلد ماعز . وكانت لحيته طويلة .

مرض القديس ونياحته

كأيوب الصديق سمح الله أن يجربه الشيطان ويضربه فى جسده دون أن يسىء إلى حياته . وذلك إن عدم اهتمامه بجسده وعدم التزامه قواعد الصحة البدنية إنما كانا من عند الله . تألم كثيراً وساءت حالته البدنية وشعر بدنو ساعته . ولكنه لم يفتر فى نسكه ولم يبال بالألم . ومرض القديس وأصابته قروح شديدة فكان يتحمل بصبر . وأخيراً أشتدت عليه أعراض المرض وبدا

أن نهايته قد أقتربت . وازدحم الناس ، وهرعوا إليه أفواجاً ، كهنة وأساقفة وعلمانيين ، كانوا يرجونه أن ينزل عن العمود للعلاج .

الامبراطور يطلب إليه أن يعالجه طبيبه الخاص : وأرسل الامبراطور تيودوسيوس إليه يدعوه للنزول عن العمود ليعالجه طبيبه الخاص . فرد فى تواضع معتذراً عن النزول شارحاً مشيئة الله فى صعوده فوق العمود كما أعلنها الله له ، وتحثه فى الله أن يشفيه .

أيوب الثانى يشفى من اسقام : وفى ليلة الأربعاء من البصخة المقدسة رأى نوراً عظيماً أضاء المكان كله . وفى نفس الوقت ظهر له شاب يلبس حلة بيضاء مرتفعاً فى الجو وقال له : لا تحزن يا سمعان ولا تخف ، فإن الشر الذى جلبه عليك الشيطان سوف ينتهى ، وسوف تتعزى بأنك أنتصرت على الشر ونلت الإكليل السماوى . ولمسه فبرىء القديس من كل اسقام وزال عنه كل ألم . ولما حضر إليه تلاميذه رأوه متمتعاً بصحة جيدة . فاستحلفوه أن يخبرهم بما حدث ، فروى لهم ذلك على ألا يذيعوه طالما كان حياً . وحضر الكاهن وناوله من الأسرار المقدسة وكان الناس فرحين يمجدون الله .

الاحتفال بنياحة القديس : وفى سنة ٤٥٩ م تنيح القديس وكان عمره حوالى سبعين سنة . وجاء بطريرك أنطاكية ومعه

الأساقفة ، كما حضر رئيس الشرطة مع جنود كثيرين . وذاع الخبر فى كل مكان فاجتمع جمهور كبير ومعهم العطور والشموع . ووضع الجسد فى تابوت من الرصاص ودفن فى أنطاكية .

وفى سنة ٤٧١ م نقـــل الجسد إلى القسطنطينية . وشيد الامبراطور زينون فى نهاية القرن الخامس كاتدرائية عظيمة تكريماً للقديس . ولا تزال بقايا مدخل الكاتدرائية التى كان يتوسطها العمود الذى كان القديس يعيش فوقه قائمة حتى الآن فى قرية دير سمعان فى جبل سمعان وهو جبل الشيخ بركات فى شمال سوريا . وتحتفل الكنيسة القبطية بذكرى القديس سمعان العمودى فى ٢٩ بشنس بركة صلواته تكون معنا آمـــين .

† † †

معجزات القديس وأعماله

صنع القديس معجزات عديدة ، وكانت صلواته مستجابة وكان لكلماته أثر كبير فى سامعيه . وقد حارب الوثنيين واليهود والهراطقة . وكتب إلى الامبراطور ضدهم ومن معجزاته ما يلى :

(١) بشأن حفظ يوم الأحد :

كان القديس شديد الاهتمام بتقديس يوم الأحد . وكان فى أحد الأماكن بالجبل فى لبنان عين ماء تخرج منها مياهاً غزيرة تكفى لرى المنطقة كلها . فقام مزارع فى يوم الأحد يرى الحقل ، وحذا آخرون حذوه وأسرعوا يحولون الماء إلى حقولهم .

وفى الغد انقطع الماء من العين وصارت كل الحقول التى تم ريها يوم الأحد كالمحترقة ، وكذلك الأشجار . ففزع الناس وندموا على أخطائهم ، وحضروا إلى القديس يعرضون عليه الأمر ولكنهم لم يجرؤوا على الاعـــتراف بالخطية التى جلبت عليهم ذلك العقاب . فقال لهم القديس :

« أنى أفهم أن فى الأمر ذنباً تريدون أخفاءه عنى تكلموا صراحة ولا تقدموا أعذاراً واهية » .

فأيقنوا أنه لا يمكنهم أن يخفوا خطيتهم وأعترفوا بها . فأنبهم القديس كثيراً على فعلهم وحذرهم من تكراره . فوعدوه ألا يعودوا للخطية مرة أخرى . فأمرهم القديس أن يلقوا ثلاثة حجارة فى عين الماء بعد أن يرسموا صليباً على كل حجر . وألقوا التراب فوق العين على شكل صليب وأقاموا ثلاثة صلبان حول العين وقضوا الليل فى الصلاة داخل الكنيسة، وانتظروا للغد كما أمر القديس؛ وفى الغد رأوا عمل الله إذ غمرت المياه الحقول من العين .

(٢) بشأن توبة رئيس عصابة اللصوص :

كان رئيس لعصابة لصوص يدعى «انتيوخوس أجوناتوس» ذا قوة بدنية عظيمة حتى أن الجنود الذين كلفوا بالقبض عليه لم يفلحوا فى مهمتهم . وازدادت جرائمه فعم الرعب والقلق مدينة أنطاكية ، وحدثت ضجة فى المدن وأرسلوا رجالا كثيرين مدججين بالسلاح للبحث عنه . فوجدوه داخل ملهى ؛ ولكنه حالما رآهم قام حالا واستل سيفه وهدد بقتل كل من يجرؤ على الاقتراب منه ، ثم خرج وامتطى جواده وركض ليلجأ إلى القديس سمعان ليحتمى به . وكان يقبل العمود الذى يسكن عليه القديس ويصرخ قائلا : « يا خادم الله ، خلص نفساً تهلك » . فسأله القديس سمعان عن طلبه .

فقال له : « أنا اجوناتوس رئيس اللصوص المعروف ألجأ إليك لكى أجد خلاصى » وكان رد القديس أن سأله : « أتشعر مخلصاً بالألم إزاء جرائمك ؟ » .

أجاب : « لقد لجأت إلى هنا لهذا السبب » .

وبينما كان يحاوره حضر الجنود الذين كانوا يتعقبونه وخاطبوا القديس سمعان قائلين : « أيها الأب القديس ، ليس من العدل أن تحمى هذا اللص عندك لكن أطرده لكى يعاقب كما يستحق » .

فرد القديس قائلا : « يا أولادى لست أنا الذى أحضرته إلى هنا ، ولكن الذى يعرف جرائمه ويعرف توبته سوف يرحمه . أما أنا فلا أستطيع أن أطرده لأن ملكوت السموات يكون للتائبين . فمن اللصين اللذين صلبا مع يسوع المسيح واحد دخل الفردوس والآخر نال العقاب الذى كان يستحقه . فإذا كان فيكم من يستطيع أن يعارض الذى أرسله إلى هنا فليدخل ليأخذه » .

فعند سماع ذلك انسحب الجنود . وحينئذ قال أجوناتوس للقديس : «يا سيدى إنى ذاهب» . فسأله هل تعود إلى جرائمك؟ أجاب : « لا يا أبى بل الرب يسوع يدعونى » ثم رفع يديه نحو

السماء وقال : « يا ربى يسوع المسيح ابن الله ، تقبل روحى » وأخذ يبكى لمدة ساعتين بطريقة مؤثرة حتى سالت دموع القديس ومن معه . ثم أمال رأسه على العمود وأسلم الروح .

(٣) هذه عاقبة المجرمين :

وتسلل داخل السور الذى بناه القديس لنفسه فوق الجبل ثلاثة لصوص مسلحين يقصدون الفتك به . فتقدم أحدهم نحوه والسيف بيده بينما كان الآخران مستعدين لرميه بالسهام . ولكن الشر الذى أرادوه له وقعوا فيه فجرحوا هم بسلاحهم وسقطوا على الأرض فاقدى النطق والحركة ، وظلوا على هذه الحال بقية الليل وطوال اليوم التالى . وعند غروب الشمس اقترب منهم القديس وقال لهم : « من أنتم ولماذا حضرتم؟ » .

فاعترفوا بقصدهم الشرير وهم فى خزى عظيم وقالوا انهم لصوص حضروا ليقتلوه . فأمرهم أن ينصرفوا وقال لهم : « حذار أن تؤذوا أى انسان والا يصيبكم أشر مما أصابكم » .

(٤) بشأن البركة :

قدم أحد العظماء وعاءاً مملوءاً زيتاً للقديس . فلم يقبله بل اكتفى بأن باركه وأعاده له . وعند ذاك بدأ الزيت يعلو ويسيل

بغزارة حتى بلل الأرض ، فأحضروا أوعية وملأوها منه ولم ينقص منه شيئاً . وأخذ الرجل وعاء الزيت إلى بيته وحدثت أشفية كثيرة .

(٥) بشأن عدم الانشغال فى الصلاة :

أظهر الشيطان أمامه حية مفزعة إلتفت حول رجليه حتى ركبتيه وهى تصفر صفيراً مرعباً . وأراد الشيطان بذلك أن يفقد القديس سلامه فيضطرب فى صلاته ، ولكن القديس أكمل صلاته حتى النهاية ، فتركته الحية من ذاتها وانشقت نصفين . ومرة أخرى ظهر له تنين ضخم يريد أن يفترسه ، فرفع عينيه نحو السماء ثم قال للحيوان بضربك الله ، فاختفى التنين .

(٦) شفاء ابنة الحاكم من الشلل :

كان على مسافة ثلاثة أميال من « تلنفسين » مدينة تدعى « بيت لاها » مبنية على جبل فى شمال سوريا . وكان لحاكمها إبنة مصابة بالشلل من المهد ترقد فى سريرها حتى بلغ عمرها اثنين وعشرين سنة . جاء بها أبوها محمولة على أذرع الخدم إلى باب قلاية القديس . ودخل الحاكم يطلب صلاته إلى الرب لتشفى إبنته . وأقامها الرب سالمة بتوسلات القديس حتى انها كانت

تصعد فوق الجبل بدون صعوبة . وتأثرت الفتاة جداً بهذه المعجزة وأرادت أن تصير راهبة . فبنى لها أبوها ديراً .

أما أبوها فعرفاناً وشكراً لله ترك العالم وصار تلميذاً للقديس سمعان . وكان ذلك أمام الجموع المحتشدة ، فذاع صيت القديس أكثر .

(٧) شفاء الكاهن من الشلل :

كان أحد الكهنة يقوم بتفسير الكتاب المقدس للشعب ، وأثناء ذلك وجد نفسه بغتة محوطاً بما يشبه الضباب . وكان ذلك بفعل الشيطان الذى ضربه أيضاً بشدة على وجهه فانقلب أرضاً وظل بلا حراك فاقد النطق . فحملوه خارج الكنيسة إلى بيت قريب وبقى كذلك تسع ساعات . ثم أفاق ولكنه أصيب بشلل .

وكان يعلم بموهبة الشفاء التى منحها الله للقديس سمعان ، فطلب أن يحملوه إليه . ولما جاءوا به إلى « سيهوم » بالقرب من تلنفسين قرروا أن يمكثوا هناك حتى يستريحوا من السفر إذ كانوا قادمين من بلد بعيد .

وأنبأ الله القديس سمعان بحضور الكاهن إلى تلك المدينة . فاستدعى أحد رجاله وقال له : « أذهب بسرعة إلى « سيهوم »

تجد هناك كاهناً مصاباً بالشلل راقداً على سرير عند مدخل الكنيسة . قل له : إن الخاطىء سمعان يرسلنى إليك لأقول لك أترك سريرك داخل الكنيسة باسم يسوع المسيح وكن صحيحاً . كنت مضطراً أن يحملك الناس ، فمنذ الآن لن تحتاج لأحد » .

فذهب الرجل فوراً وعندما دخل المدينة لم يكتم سبب حضوره وتبعته جموع يريدون أن يستطلعوا الأمر . وعند مدخل الكنيسة وجد الكاهن وكان بحالة سيئة جداً فقال له كما أمره القديس وشفى الكاهن .

ودخل الكنيسة وشكر الله على النعمة التى نالها بصلوات القديس سمعان . ثم توجه إلى القديس ومعه جموع من الذين رأوا المعجزة . وارتمى عند قدميه إظهاراً لاحترامه له وعرفاناً بالجميل . فأقامه القديس وقال له : « لا تخف فإن الله سوف يكون معك ولن يصيبك سوء من جهة الشيطان الذى استخدم رجلين من أعوانه ليؤذيك . والشر الذى صنعاه بك سيحيق بهما وسترى عند عودتك وسيحضران يطلبان منك الصفح . فأرحمهما كما رحمك الله وخذ هذا الماء ورشهما فيشفيان » .

وكان الكاهن يشكر الله وعاد إلى بيته فرحاً . وبينما كان يقترب من البيت وجد الرجلين الشريرين اللذين هما علة أصابته

بالشلل بما أتياه من أعمال السحر ؛ وكان الشيطان يعذبهما بقسوة . وبعدأن اعترفا بخطيتهما أمام الجميع رش عليهما الماء فنالا الشفاء .

(٨) بشأن الزروع المقتلعة :

جاء بستانى فقير إلى القديس سمعان وارتمى عند قدميه وقال إنه زرع قثاوى شمام وكوسة وكان يأمل أن يحصد حصاداً وفيراً لأجل معيشته وأسرته ، لكن بعض الأشرار واقتلعوا الزرع بعد أن نبت ، ولم يبق منه سوى القليل . فتأثر القديس لذلك وقال له : أتكل على الله وسيحصد الذين سببوا هذه الخسارة شراً وأمره قائلا : « خذ هذا الرمل والقه فى الحقل على شكل صليب ، فإنه حتى إذا لم يبق سوى ثلاث نبتات فستحصد حصاداً وفيراً . أما هؤلاء الأشرار الذين اقتلعوا الزرع ، فأنا أعرف أن بينهم ثلاثة مجرمين قد نهبوا الكنائس والأديرة وسوف ترى كيف يعاقبهم الله » . وتحقق كل ما قاله القديس . وحصد البستانى حصاداً وفيراً وبعد الحصاد ترك حقله للفقراء والغرباء ليجمعوا منه ما تبقى ، وكان قد أعد طعاماً للحاصدين ، كما ظلت الحقول مليئة بالحصاد بالرغم من أن الجميع أخذوا كل ما أرادوا .

(٩) بشأن الحلف باطلا :

عقب إحدى الرؤى ظل واحد وعشرين يوماً لا يشعر بالجوع

أو العطش . ثم ذهب إلى قرية قريبة ليشترى سمكاً . فرفضت إبنة أحد الصيادين أن تبيع له شيئاً من السمك الكثير الذى عندها وقالت له كذباً وهى تحلف أن ليس لديها سمك . ولكن الله أظهر غضبه عليها ، فقد اعتراها روح نجس وأخذت تصيح صيحات مفزعة وتمزق ملابسها وتعبث بشعرها . فقال لها القديس إن ذلك قد حدث لها لأنها حلفت لتؤكد كذبها . ثم صلى عليها فشفيت .

† † †